النسب الشريف

إنَّ حياةَ رسول الله ﷺ كلَّها خيرٌ وحقٌّ، وكلّها نُورٌ وهدايةٌ.. أحاطَتْها العنايةُ الإلهيةُ منذُ أوَّلِ وَهْلة.

فلقد اختارَ اللهُ تعالَى رسولهُ ﷺ منْ أشرَف القبائل، ومنْ أطهر الأصلاب وأنقَاهَا، فهوَ خيرُ أهل الأرض نسبًا وشرفًا؛ إنه سيدُنا محمدُ بنُ عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ابن كلاب بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضْر ابن كنانَةَ بن خُزَيْمةَ بن مدركةَ بن إلياسَ بن مضرَ بن نزار بن معد ابن عدنانَ. وإلى هنا اتفقَ النسَّابونَ على نَسَبه، ولم يختلفُوا فيه. وعدنانُ هذا منْ ولَد إسماعيلَ ـ عليه السلامُ ـ فنسبهُ يصلُ إلى سَيِّدنا إبراهيمَ عليه السلامُ. ولقدْ تحدَّثَ رسولُ الله ﷺ عن نَسَبه فقالَ: «إنَّ اللهَ اصطفَى كنانةَ منْ ولَدَ إسماعيلَ، واصطفَى قريشًا منْ كنانةَ، واصطفَى من قريش بَني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشمٍ»[1].

* * *

(١) رواه مسلم.

وقد حَفظَ التاريخُ عَراقةَ أصله ﷺ، وكَرَمَ آبائه وأجداده؛ فهوَ ابنُ الذبيحَيْن، الذبيحُ الأولُ سيدنا إسماعيلُ عليه السلامُ، وهوَ لَمْ يُذْبَحْ، بلْ فداهُ اللهُ بكبش عظيم. وأمَّا الذبيحُ الثاني فأبوه عبدُ الله ابنُ عبد المُطَّلب؛ فقدْ نَذَرَ عبدُ المطَّلب إنْ رُزِقَ بعشْرة أبنَاء أن يذبحَ أحدَهُم. ورُزِقَ عبدُ المطلب بعشرة أبنَاء، وجاءَ أوانُ الوفاء بالنذر، ووقعَ الاختيارُ علَى أحبِّ أبنائه إليه وهوَ عبدُ الله. ولكنَّ اللهَ نجَّاهُ منَ الذبح، وفُديَ بمائةٍ من الإبل.

كانَ عبدُ الله يعملُ في التجارة، وكانَ مثالاً للتاجر السَّمح الصَّدُوق، وكانَ شعارُه في تجارته: «أما الحرامُ فالمَمَاتُ دُونَهُ».

وأرادَ عبدُ المطلب أن يُزَوِّجَ ولدَهُ عبدَ الله، فاختارَ لهُ آمنَةَ بنتَ وَهْب بن عبد مناف، وهيَ أفضلُ امرأةٍ في قريش نَسَبًا وموضعًا. تزوَّجَها عبدُ الله، وبَنَى بها في مكةَ.

* * *

وأمَّا جدُّهُ عبدُ المطلب، وهو المعروفُ بشيبة الحمد، فقدْ تولَّى السِّقايةَ والرِّفادةَ في البيت الحرام، فكان يُطعمُ الحجيجَ ويسقيهمْ في حياض من أدَمٍ إلى أن حَفَرَ زمزم سقيًا من الله. وكانَ لحفرِ زمزم قصةٌ:

لقدْ أتاهُ في النوم آت، فأمرَهُ بحفرها قائلاً لهُ: احفر طيبةَ. فقالَ: وما طيبةُ؟! فلمَّا كانَ من الغد أتاهُ فقال: احفُر بُرَّة.

فقال: وما بُرَّةُ؟!

فلمَّا كانَ من الغد أتاه فقالَ: احفُر زَمْزَمَ.

فقالَ: وما زمزمُ؟!

قالَ: لا تنزحُ ولا تذَمّ، تسقي الحجيجَ الأعظم، وهيَ بينَ الفَرْث والدَّم، عندَ نَقْرَةِ الغراب الأعصم.

فلمَّا بيَّنَها له ذَهَبَ عبدُ المطلب هو وابنُه الحارثُ وحفَرَها. وكانَ عبدُ المطلب أجودَ قريشٍ كفا، وكانَ سيدَ قريش حتَّى ماتَ.

* * *

ومن أجـداد النَّبيِّ ﷺ قُـصيّ، وكـانَ شـريفَ أهل مكةَ، بنَى دارَ النَّدوَة وجعلَ بابَها إلى البيت الحرام، وكانتْ إليه الحجابةُ وهيَ سَدَانَةُ البيت. وكانتْ إليه السِّقايةُ وهي سُقْيا الحجيجِ، والرِّفادةَ وهي إطعامُ الحجيجِ، واللِّواء للحرب، والندوة للمشورة.

* * *

obeikandl.com